دَبْرِيَاسِين

بنت الجنوب
لمّي فؤادك من هنا
لا تحلمي
ودعي الغيوب
أوَ تحلمين؟
بالقصر، بالفرو الثمينْ
بالانفراد
والشعب جلله السواد
وبلادنا
منهوبة الاطراف غرقى في الدم
ورحابنا
بؤس على بؤس يقوم ويرتمي .
عبث الذئاب بارضنا ومضابها طعناً وقتلا
ملأوا صدور شبابنا غدراً وتشويهاً وهولا
حرقوا الحقول فكل كوخ فيه بائسة
[وثكلى
لم تبق معصرة تغني للحياة على السفوحْ
والكرم اضلاع ممزقة وغربان تنوحْ
أتكحل الطرف الرؤى وبلادنا وطن
[الجروح ؟!
هدموا منازلنا وغالوا في الخراب
[وفي الدمار
ورشوا ضمير العالم المسكين بالذهب النضار
قالوا له : «إنا بداة في الصحارى والقفار
وهم الذين اتوا الينا بالحضارة والعمار
أفتحلمين وحلمنا خزي وعار !
والعار اكبر إن جبنّا
ويلوح كلٌّ مطمئنا
لا حقد يلهبنا ويدفعنا لثار
في القدس ذل نال منا
وأقام دولته على اشلائنا
تلك الحقيقة ، لا تني اوَ تخجلي
الحكم للمستقبل .
أحلامنا لا بوركت احلامنا
إن لم تكن احلام نار
تودي بمن اخنى وجار
هذي الحقيقة يا اخية فاعدلي
أفتحلمين
بالقصر، بالفرو الثمين
بالانفراد
والشعب جلله السواد
وبلادنا وجه حزين
أفتحلمين ؟

*

في الأمس دوى مدفع العيدِ
وتراكض الاولادْ
فرحين كل بالاناشيدِ
يستقبل الاعيادْ
إلا صغير
في وجهه الم غزير
يرنو وفي عينيه مأساة الجنوب
وطفولة حيرى تلوب
لا قبلة تشوى تذوب
فوق الجبين
يا اخت ، موطننا كهذا الوجه ممتقع حزين
أفتحلمين ؟!
هذا الصغير
متشرد جهل المصير كأنه كلب حقير
في وجهه عصف الخريف ، يدور يعبث
[بالقمامه
ويغط فيها باحثاً عن لقمة نخرت عظامه !
في الامس كان له فراش
وحنونة تحنو عليه
واليوم لا أم تحن ولا أب يرنو اليه
الجوع يأكله ويفترش التراب
وعليه من مزقٍ ثياب
من صدر والده رأى في الامس تُنتزع
[الحراب
وتطايرت اشلاء اخوته الشباب
في ملعب الزغب الصغار
عند الجدار
فانسلّ والام الحزينة في مُضلات الشعاب
وعلى الطريق
والرعب والليل العميق
قالت له : والدمع يملأ مقلتيها
ورنت إلى وجه السماء لعلها ترنو اليها
إن متّ ان لنا هناك أقارباً ملء الرحاب
وغداً تصير إلى الشباب
والحق حقك بالضراب !!

*

هذي ضحايانا أتعمى العين عن هذي الضحايا
أشباح بؤس من هناك ومن هنا تسعى عرايا
وعلى الجباه حكاية المأساة بل ذل السبايا
أنغيب في طيات أنفسنا ونحلمها حياه
الذات منبعها وبئس الذات من فأس لئيمه
أكالة شجر الحياة
هي صخرة في دربها
بل خنجر في قلبها
هي منبع الآثام تهدم كل امنية كريمه
ام الجريمة كيف لا نقضي على ام الجريمه
مأساتنا في القدس يا أختاه والاسكندرونه
والطائفية اختها هذي المحقّرة اللعينه
ما الدين غير محبة تعطي فيكبرها العطاء
وسماحة في الارض يشرب من مناهلها
[الاخاء
والله ليس بحاقد او كاره عفو السماء
خسيء الذين يغلفون الله كذباً وافتراء
ويتاجرون به ، أولئك يفزعون من الضياء!

*

وشراهة الاقطاع هذا الغول شرّاب الدماء
منا يقدّ ومن معاولنا السعادةَ والرخاء
ليلاته الحمراء من دمنا ومن عرق الجبين

في كل مزرعة وكوخ يشهر السوط اللعين
ويرن في الاجواء يلعق من ظهور البائسين
هذي الافاعي المنشبات نيوبها في جسم شعبي
يا هولها فكأنها تمتص من صدري وقلبي
زندي وزندك يا أخيّة كي نمزقها ونودي
هذي اللعينة ما ونت للشعب في هدم وهد!
أفتحلمين
ودماؤنا هدر مشين
وثعالب الاتراك تمرح في الكروم
وتدّعي حق التخوم
أفتحلمين !

*

وترن اغنية مؤثرة جميله
أغنية الفرّاط فوق [الجوز] والنغم الطليق
ويرفرف الشحرور من عب الخميله
بغنائه الحلو النسيق
ونروح مشواراً نغلغل في الحقول
هل تذكرين ؟
ام كنت يومئذ رُخاء تحلمين .
هل تذكرين مسنّة جلست هناك على شفا
[جذع عتيق
كالكهف في هذي الحياة بلا معين او رفيق
مكدودة النظرات كالاشباح في الليل
[العميق
بملاءة ممزوقة وبوجه محزون شريد
حفرت به الويلات والايام فهو بلا بريق
تومي بعكاز لطفل غائر العينين ناحل
ليلم مما خلف «الفرّاط» في طرف الطريق
وليحتطب وإذا وني فليسترح عند الجداول
حين اقتربنا منه راح الى العجوز توثبا
فزعاً كأن به جنون
ضمته للصدر الحنون
غمرته بالقبل السخية ثم قالت : مرحبا
وجرى على الخدين أنبل دمعتين
من خير عين
رغم التغضن ان ذاك الوجه يشرق بالحنان
رغم المصائب والليالي رغم غدرات الزمان
قد قوّست ظهراً ولكن لم تقوّس كبرياء
قد خددت وجها ولكن لم يخددها إباء
ونأيتِ انت مع الصغير تلاطفينه
بالحلويات وبالنقود
أملاً بأن يتكلما
لا تعجبي إن أحجما !
هل تذكرين ؟ بقيت وحدي والعجوز
[ورحت أهمس في شرود
ما اعتدت يا اماه أعباء الهوان
فمضيت تحتطبين والطفل الصغير
خير من استجداء صرخات الضمير
في رأس مغرور حقير !
قالت أنا من دير ياسين الشقي وذا حفيدي
بقرت بطون ذويه يا للغدر حربات اليهود
فانظر كأن بعينه شبح المآسي والشرود
جاؤوا لحقلي المطمئن مع الظلام
فكل شيء مستباح
ورجالنا كانت معاولها السلاح
وبنادق صدأى عتاق
كانوا الى الموت المروّع في سباق
وهكذا كان الكفاح !
يا أفق مزرعتي أتذكر كرر كبنا عند الصباح
وغناءنا عند السقايه
أم انها مُلئت جراح
وقاربت مثلي النهايه
أرضي التي هي قطعة مني
غصبت وشردنا
ونسير من وهن الى وهن
وغد بلا معنى
وبأرضنا تزهو لهم رايه
وعلا لهم مبنى !
أنا لعنة التاريخ والاجيال
ان لم تفق في شعبي الأبطال
فنسير للغايه
ونحرر الوطن الحبيب من الشمال الى
[الجنوب
ونعود نعطي الكون منا
زنداً وفكراً مبدعاً
ويصير للانسان معنى !
لا تعجبَنْ ليس الكلام بمدعي
تتعثر الدنيا اذا لم نبتدع نحن الدروب!
ولدي الحبيب كطلعة الفجر
قتلوه بالغدر
بعلي يدافع عنه بالصدر
يا للنذالة مزقوه
ورموه في البئر
وكذا ابوه . »
سكتت ، وأفصح دمعها بجري !
ورجعتِ انت مع الصغير تلاطفينه
بالحلويات وبالنقود
أملاً بان يتكلما
لا تعجبي ان أحجما
ورأيتني استعجل المشوار أرغب أن أعود!
ورأيتني متفكراً متجهما !
لا تعجبي طالت لسان الطفل مجزرة اليهود!

*

أفتحلمين ؟
بالقصر ، بالفرو الثمين
والشعب معصوب الجبين
قومي معي يا اخت ندفع عنه غدرات
[الزمان
ونرد اطماع الاعادي
انا اذا شئنا الحياة فكل جلاد يُهان
والامر ما شاءت بلادي
فارادة الانسان فوق ارادة القدر الغبي
هذا يسير بعقله والغيب من وهم وغي
منا التقدم والتقهقر ان أردنا والرقي
تتطلعين الى السماء وأرضنا شيء زري !
يا اخت في ظهر البلاد وصدرها جرح طري
ولنحنُ مأملها وفجر الخير في الليل العتي
أنغيب في اوهامنا ونداؤها حار سخي
أفننزل الاحلام والاعداء تنهب كل شي
ان لم نفق من هذه الاحلام
ان لم تفق في صدرنا النار
نار الحياة كأننا اغنام
ولصيقنا الخزيان والعارُ !
احلامنا لا بوركت احلامنا
ان لم تكن احلام نارْ
تودي بمن اخنى وجارْ !

دمشق — **نذير عظمه**